

الدارس في تاريخ المدارس

أبى بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول عجائب الدنيا خمسة أشياء أحدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين والثانية أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً والثالثة مراة في بلاد الأندلس معلقة على باب المدينة أي مدينة الأندلس الكبيرة فإذا غاب الرجل من بلادهم على مسيرة مائة فرسخ في مائة فرسخ أتى بعض أهله إلى تلك المراة يقعد تحتها وينظر في المراة يرى صاحبه من مائة فرسخ والرابعة مسجد دمشق وما يوصف به ومن الانفاق عليه وكثرة محاسنه والخامسة الرخام والفسيفساء فانه لا يدري له موضع ويقال ان الرخام الذي فيه كله معجون والدليل على ذلك انه لو وضع على النار لذاب وهذا من العجب العجائب وقيل لما اخذ الوليد في بناء مسجد دمشق وظهر من تزويقه وتنميقة وبنائه وعظم مؤنته ما ظهر تكلم الناس فقالوا انفق فيئنا واتلف ما في بيوت اموالنا في نقش الخشب وتزويق الحيطان ثم كانا به قد حرمانا اعطاءنا واعتل علينا بذهاب المال وقلته فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوه فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس قد بلغني مقالتم وانتهى الي ما خفتم من حبس اعطائكم ودفعكم عن حقوقكم وليس الامر كما ظننتم اما واني امرت بإحصاء ما في بيوت الاموال فاصبت اعطاكم فيه ست عشر سنة مستقبلة من يومي هذا ثم نزل وقيل انهم حسبوا ما انفق على الكرملة التي قبل المسجد الاموي فكان سبعين الف دينار وقال ابو قصي ما انفق في عمارة مسجد دمشق اربعمائة صندوق في كل صندوق اربعة عشر الف دينار وقيل انه قال رايتكم يا اهل دمشق تفتخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحمائمكم فاردت ان يكون مسجدكم الخامس وقيل انه اشترى العامودين الاخضرين اللذين تحت قبة النسرة من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بالف وخمسائة دينار واخبرني ابو الفضل القاسم بن السمرقندي قال قال ابو يوسف يعقوب بن سفيان قرأت في صفائح في قبلة مسجد الجامع بدمشق مذهبة بلازورد